الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومنزلته في كتب السيرة والتاريخ

الأستاذ الدكتور
عبد الرحمن إبراهيم حمد الغنطوسي
الجامعة العراقية ـ كلية التربية

المقدمة:

إن الله أعلى مراتب الرجال الأعلام، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام، ومنحهم مآثر تقصر عن جمعها المحابر والأقلام، وأنار علومهم وأفكارهم ومعارفهم وآدابهم أضاءت بها الأمصار والأقطار، وأطلعهم على حقائق الأسرار وهداهم وهدى بهم في مشارق الأنوار وبعد، فهذه كلمات ورقائق، لا تُخلفُ ظنَّك، ورجاءً باسماً ثغره يرفع قدرك، فخذها بقوة وتصديق من الفكر اليسير في لطائف رجل من سادات العرب في الإسلام، وعرف رجال التاريخ الإسلامي والسيرة قدره، فهو يملك عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة بالحق، وهذا أقل ما قلنا من كلمة الحق في مواقف الرجال، وما أكثر ما قصرنا في القول الفصل والكلمة الصريحة والعمل الجاد، فهذا بحث تناولت فيه حياة ومسيرة عالم عرفه المجتمع الإسلامي من خلال مآثره، وهو موضوع عظيم الأهمية في حياتنا اليوم في زمان تلفق لرجال الإسلام كل تهمة وعيب زوراً وبهتاناً، وكأن الأعين قد عميت عن أمثال هؤلاء الرجال، لاسيما بعد عقود من تخبط البشرية بين نظريات الشرق والغرب وتُرَّهات الفلاسفة والأخلاقيين الموهومين، فإذا بالعالم اليوم أشد تخبطاً بعد هذه النظريات منه قبلها، وبات لزاماً علينا معشر المسلمين أن نبين للعالم كنوز هذا الامام الجليل، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وتراجم العلماء تزيد في الإيمان وتثبت اليقين وترفع همة السائرين إلى الله تعالى حتى يبلغوا المراتب العلى والذروة القصوى، فكيف إن كان الرجل الامام بلغ الذروة في شجاعة السنان و اللسان، هذه الإشارات والدلالات كانت السبب في اختيار هذا الموضوع وكذلك يعود إلى أمور منها: لم أجد حسب علمي من أفرد بحث مستقل يبين فيه جهود الامام جعفر الصادق عليه السلام في كتب الإخبار والسيرة والتاريخ وكذلك من أسباب اختيار

موضوع البحث، أنه يأتي في سياق إظهار الجانب الحضاري والإنساني في شخص من الكرام والذي يغفله أو يجهله الكثير، ومما دفعني أيضاً للكتابة في هذا الموضوع أيضاً؛ قلة الكتابات والأبحاث التي تتحدث عن الجوانب الإنسانية والحضارية في سيرة الصادق عليه السلام. وقد كانت حدود البحث:

تدور حول سمات وجهود ومآثر الامام من خلال التركيز على مواقفه النبيلة - وبيان أقوال المفكرين والباحثين فيه، أمامنهج البحث:لقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تناول النصوص المتعلقة بموضوع الدراسة، واستخرج ما فيها من مضامين، والعمل على تصنيفها، ومن ثم إدراجها تحت العناوين الخاصة بها، وأذكر أقوال العلماء والفقهاء في المسائل المتعلقة بشخصيته، وتحري الأمانة العلمية في نقل المعلومات والأقوال والأدلة من المصادر والمراجع، والاعتماد في نقل المعلومات على المراجع والمصادر المعتمدة في كل الأقوال منها، وكذلك استعنت ببعض ما كتب حديثا عنهما، إذا نقلت المعلومات من المراجع بالنص جعلتها بين قوسين تمييزا لها. والتعريف بما يحتاج إلى تعريف من مفردات غامضة، وأسماء أماكن وردت في البحث، وعناوين البحث، وكل ذلك في الهامش، ومراعاة قدر الإمكان قواعد اللغة في كتابة البحث، وعزو الآيات الواردة في البحث إلى السور وبيان أرقامها.وكذلك تخريج الأحاديث والآثار من الكتب المعتمدة، الدراسات السابقة: لم يعثر الباحث على دراسة علمية قائمة بذاتها، تتعرض لكشف عن جوانب جهود الصادق في سيرته، وخطة البحث:يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وقائمة في المصادر والمراجع، لذا اقتضت خطة البحث أن يكون المبحث الأول حياة الامام جعفر الصادق وآثاره وجاء المبحث الثاني عن مواقف الامام التاريخية في كتب التاريخ والسيرة وكان المبحث الثالث: مختارات تطبيقية من المواعظ والخطب المستنبطة من فكر الامام عليه السلام واتبعنا البحث بخاتمة وقائمة في المصادر والمراجع والحمد لله رب العالمين، وصلى الله عَلَى سيدنا محمد خير خلقه وآله وصحبه أجمعين، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله العلي العظيم.

المبحث الأول

حياة الامام جعفر الصادق وآثاره صلى الله عليه وآله

هو الامام ابو عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب - ذو النسب الشريف الطاهر في علوي النسب من جهة ابية وبكري النسب من جهة امه، وهذا العلم الاسم علامة عصره في صفوف العلوم. والمعروف بحميد الخصال وطيب المناقب والصفات والالقاب في الصادق والفاضل، والقاهر، والكامل، والصابر، والطاهر رضي الله عنه وعن ال البيت الطاهرين الى يوم الدين.رضي الله عنهم اجمعين. ولم يختلف المؤرخون الذين ترجموا للامام جعفر الصادق في اسمه، فثمة منهم من أوجز في ذكر اجداده اعتماداً على شهرة نسبه ووضوحه، وبعضهم استوعب في ترجمته سلسلة نسبه الشريف دون ذكر الكنى والالقاب، وفيما يلي نذكر بعضا مما قالوه: قال الامام الذهبي في كتابه: "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"[1]: هكذا: "جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابو عبد الله"، فنلاحظ انه لم يذكر جده علي ابن ابي طالب- كرم الله وجهه- وجاء بذكر الاسماء بدون الالقاب، اما في تقريب التهذيب، لابن حجر، وتهذيب الاسماء واللغات للنووي، والتاريخ الكبير للبخاري، وتهذيب الكمال في اسماء الرجال فقد جاء هكذا: (جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي ابو عبدالله المعروف بالصادق)،ونلاحظ انه جاء بالاسماء بدون الكنى والالقاب، ناسباً الصادق الى بني هاشم. وقد تعددت عبارات الامام الذهبي في ترجمته للامام الصادق، ففي تاريخ الاسلام ترجم له هكذا: جعفر الصادق وهو ابن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الامام العلم ابو عبد الله الهاشمي العلوي الحسيني المدني.وفي سير اعلام النبلاء ترجم له هكذا: جعفر بن محمد بن علي ابن الشهيد ابي عبدالله ريحانة النبي صلى الله عليه وآله، وسبطه ومحبوبه الحسين ابن امير المؤمنين ابي الحسن علي بن ابي طالب بن عبد مناف بن شيبة وهو عبد المطلب بن هاشم، واسمه عمرو ابن عبد مناف بن قصي الامام الصادق شيخ بني هاشم ابو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني احد الاعلام.وهكذا ذكر الامام الذهبي في ترجمته للامام جعفر على نسبه الى جده الاعلى وهو الامام علي بن ابي طالب، وابي جده عبد المطلب بن هاشم، فهو يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وآله في جده عبد

المطلب بن هاشم.وذلك هو النسب الشريف الكريم للامام جعفر الصادق- رضي الله عنه، فهو قرشي هاشمي علوي؛ اذ ينتهي نسبه من جهة ابيه الى الامام علي بن ابي طالب- رضي الله عنه- ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته فاطمة الزهراء- رضي الله عنها. وهو كما قدمنا اول الناس اسلاما في قول طائفة كثيرة من اهل العلم، ولما اخى رسول الله ﷺ بين اصحابه قال له: انت اخي، وكان اللواء بيده في اكثر المشاهد التي حضرها، وهو باب مدينة العلم- كما اخبر رسول الله ﷺ واقضى الصحابة رضوان الله عليهم [٢].اما جده الحسين فهو سبط رسول الله ﷺ وريحانته، واخو الحسن، وهما سيدا شباب اهل الجنة، واحب اهل بيت النبي ﷺ اليه، وروي في فضله جملة احاديث، منها قول رسول الله ﷺ: " حسين مني وانا من حسين، احب الله من احب حسينا، حسين سبط من الاسباط"، وقول رسول الله ﷺ: " الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة". الى غي ذلك من الاحاديث التي اشرنا اليها في ترجمتهما، فهو اشرف الناس أبا وأما، وجدا وجدة، وعما وعمة، وخالا وخالة، جده رسول الله ﷺ سيد النبيين، وابوه علي امير المؤمنين، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، واخوه الحسن المجتبى، وعمه جعفر الطيار مع ملائكة السماء، وعم ابيه حمزة سيد الشهداء، وجدته خديجة بنت خويلد اول نساء الامة اسلاما، وعمته ام هانىء، وخاله ابراهيم ابن رسول الله ﷺ، وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ، اما جده زين العابدين؛ فكان من اورع الناس واعبدهم واتقاهم لله عز وجل.ويقول عنه ابن سعد[٣]: " كان ثقة مأمونا، كثير الحديث، عاليا رفيعا، وورعا، وقد اضفى الله سبحانه وتعالى على الامام زين العابدين ثوب المهابة والوقار، فكان اذا راه الناس لم يملكوا انفسهم من توقيره واجلاله".وروى ابن كثير[٤] ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة ابيه، فلما اراد ان يستلم الحجر الاسود لم يتمكن، وجاء زين العابدين بن الحسين- ﷺ- فلما دنا من الحجر ليستلمه تنحى عنه الناس، اجلالا له وهيبة واحتراما، فقال اهل الشام لهشام: من هذا؟ فقال: لا اعرفه، فقال الفرزدق وكان حاضرا: انا اعرفه، فقالوا: ومن هو؟ فانشد الفرزدق يقول:

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

اذا راته قريش قال قائلها ... الى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمـــى الى ذروة العـــز الـــتي قصـــرت ... عـــن نيلـــها عـــرب الاســـلام والعجـــم
يكـــاد يمســـكه عرفـــان راحتـــه ... ركـــن الحطـــيم اذا مـــا جـــاء يســـتلم
يغضـــي حيـــاء ويغضـــى مـــن مهابتـــه ... فمـــا يكلـــم الا حـــين يبتســـم
مشـــتقة مـــن رســـول الله نبعتـــه ... طابـــت عناصـــرها والخـــيم والشيـــم
هـــذا ابـــن فاطمـــة ان كنـــت جاهلـــه ... بجـــده انبيـــاء الله قـــد ختمظـــوا
مـــن جـــده دان فضـــل الانبيـــاء لـــه ... وفضـــل امتـــه دانـــت لـــه الامـــم
مـــن معشـــر حبـــهم ديـــن، وبغضـــهم ... كفـــر، وقـــربهم منجـــى ومعتصـــم
يســـتدفع الســـوء والبلـــوى بحبهـــم ... ويســـتزاد بـــه الاحســـان والـــنعم
ان عـــد اهـــل التقـــى كـــانوا ائمتهـــم ... اوقيل: مـن خـير اهـل الارض؟ قيـل: هـم
فلـــيس قولـــك مـــن هـــذا بضـــائره ... العـــرب تعـــرف مـــن انكـــرت والعجـــم
مـــن يعـــرف الله يعـــرف اوليـــة ذا ... فالـــدين مـــن بيـــت هـــذا نالـــه الامـــم

أما والده محمد بن علي زين العابدين، فقد سمي بالباقر، لبقره العلوم واستنباطه الاحكام، وكان خاشعاً ذاكراً، صابرا وكان من سلالة النبوة، وممن جمع حسب الدين والابوة، تكلم في العوارض، والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات.

قال عنه ابن كثير: هو تابعي جليل كبير القدر كثيرا، احد اعلام هذه الامة علما وعملا وسيادة وشرفا.

اما نسب الامام جعفر الصادق من جهه امه: فقد اتفق المؤرحون على ان امه هي السيدة ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق، وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق(٥).

وعلى ذلك فالامام جعفر الصادق علوي النسب من جهة ابيه، بكري من جهة امه.

والسيدة فروة امه هي ابنة القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق- صلى الله عليه وآله، وقد عده العلماء احد الفقهاء المشهورين، وقد اثر عنه روايات كثيرة عن الصحابة وغيرهم، وكان من خيار اهل المدينة وكرامهم، واعلم اهل زمانه(٦).

اما عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق-رضي الله عنه- فكان فقيها مدنيا حجة، سمع مع ابيه، ومن اسلم مولى عمر، ومحمد بن جعفر بن الزبير، وكان عبد الرحمن ثقة اماما ورعا كبير القدر. قال ابن عيينة[٧]: كان من افضل اهل زمانه وهو خال جعفر الصداق، وقد ولد في حياة عائشة الصديقة، ومات سنة ست وعشرين ومائة، فمن الشرف الباذج ان يتزاوج احفاد علي وابي بكر، ومن زيادة الفضل ان يتزوج امام من اهل البيت بفتاة ابوها ربيب عائشة الصديقة وابن اخيها الذي كان لعلي ابي الامة ابنا وربيبا.

وحيث رجع نسب محمد الباقر الى جده علي بن ابي طالب مرتين، من طريق ابيه علي بن الحسين، وامه فاطمة بنت الحسن، رجعت ام فروة رجع، لجدها ابي بكر مرتين، من طريق ابيها القاسم، وابنة عمه اسماء بنت عبد الرحمن، ثم تزوج محمد الباقر بن زين العابدين بام فروة بنت القاسم بن محمد فولد جعفر، ولهذا كان الصادق يقول: " ولدني ابو بكر الصديق مرتين ".

لقبه وكنيته:

وقد لقب الامام جعفر الصادق عليه السلام القابا كثيرة ذات دلالات وايحاءات رفيعة، فمن القابه: الصادق، الفاضل، القاهر، الكامل، الصابر، الطاهر[٨].

بيد ان اشهر هذه الالقاب جميعها، والتي اتفق عليها كل من ترجموا للامام لقب " الصادق "، فثمة اجماع تام علي تلقيب الامام جعفر بن محمد الصادق.

وقد تعددت اراء المؤرخين واقوالهم في سبب هذا اللقب على النحو الاتي:

قيل: انه لقب الصادق، لصدقه في مقالته، وقيل: لانه لم يعرف عنه الكذب قط، وقيل: ان الذي لقبه بالصادق ابو جعفر المنصور، حين اخبره انه سيلي الخلافة ثم وليها.وقيل: انه سمي بالصادق لان مسلم الخراساني كان قد طلب اليه ان يظهره على قبر جده علي بن ابي طالب، وقد كان مخفيا عن الناس مخافة اعدائه، ومخافة الخوارج، فامتنع ثم اخبره ان القبر انما يظهر في ايام رجل هاشمي، يقال له ابو جعفر المنصور، ثم انه اظهر التربة واخبر المنصور بذلك، وهو في الرصافة، ففرح، وقال: هذا هو الصادق.

والراجح لدينا ان الامام جعفر الصادق عليه السلام لقب بهذا اللقب، لكل هذه الاقوال

والافعال؛ وذلك لان الصدق هو الميزان الذي ترجح به النفوس الكريمة على النفوس السقيمة، والمقياس الذي يتميز به الشقي من السعيد؛ فالصدق صفة جامعة لكل خصال الخير، اذ هو ملاك الشرف، وعنوان الدين، ودليل المروءة، ومظهر الشجاعة، ومراة الاستقامة، فاذا علمنا ان الامام جعفراً عليه السلام كان على خلق كريم، وسلوك قويم، وقد تحقق فيه جمال الخلق وحسن الخلقة، واتصف بكل هذه الصفات، ادركنا سبب هذا اللقب.

بالاضافة الى ان اهل البيت- رضوان الله عليهم- صديقون، فهي صفة متاصلة فيهم، فجده صلى الله عليه وآله اشتهر قبل البعثة وبعدها بالصادق الامين.

وعاش في حقبة زمنية انتشر فيها الكذب وعز فيها الصدق، اما كنية الامام جعفر بن محمد: فقد اجمع المؤرخون على انه كان يكنى بابي عبدالله؛ نسبة الى ولده عبد الله؛ قال ابن قتيبة: " فاما جعفر بن محمد فكني ابا عبد الله"(٩). وجاء في طبقات خليفة: " جعفر الصادق بن محمد الباقر، يكنى بابي عبدالله وكناه بعضهم بابي اسماعيل؛ نسبة الى ولده اسماعيل".واختلف المؤرخون وكتاب التراجم في تحديد مولد الامام جعفر الصادق، فذهب اكثرهم الى انه ولد سنة ثمانين من الهجرة. قال الامام الذهبي: " مولده رضي الله عنه سنة ثمانين "، وقال البخاري في تاريخه: ولد جعفر سن ثمانين.

وقال ابن خلكان: " وكانت سنة ثمانين للهجرة، وقيل: ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الشمس ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين "(١٠).

وذهب بعض المؤرخين وخاصة الشيعة الى انه ولد سن ثلاث وثمانين، على اختلاف بينهم في تحديد اليوم والشهر الذي ولد فيهما، ويرى بعض الشيعة انه ولد سنة ثلاث وثمانين.

يقول الشيخ المفيد: " الصادق ولد بالمدينة سنة ثلاث وثمانين، وذكر المجلسي في بحار الانوار والكليني في الكافي عدة روايات تؤكد انه ولد سنة ثلاث وثمانينمن الهجرة، ولا مؤيد لهذا الراي ".

ويقول محسن الامين عن الامام الصادق؛ ولد بالمدينة يوم الجمعة او الاثنين عند طلوع الفجر ١٧ ربيع الاول، وقيل غرة رجب سنة ٨٠ للهجرة عام الجفاف، وقال المفيد والكليني

والشهيد: سن ٨٣، وقال ابن طلحة والاول اصح.

اما المكان الذي ولد فيه الامام جعفر، فالاجماع منعقد بين كتاب التراجم على انه ولد بالمدينة مهبط الوحي ومستقر رسول الله صلى الله عليه وآله وماوى الصحابة ورجال العلم.اما وفاة الامام جعفر الصادق فليس هناك اختلاف بين المؤرخين في أن الامام جعفر الصادق - عليه السلام - توفي سنة١٤٨هـ.

يقول الامام المحدث أبو عمر خليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠هـ: سنة ثمان وأربعين ومائة. وقال المسعودي في مروج الذهب: لعشرين سنة خلت من خلافة أبي جعفر المنصور، توفي جعفر الصادق سنة ثمان وأربعين ومائة، ودفن بالبقيع مع أبيه وجده.

ويقول ابن خلكان: توفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة، ودفن بالبقيع في قبر أبيه وجده وعمه، وان على قبورهم رخامة كتب عليا: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيي الرمم، هذا قبر فاطمة بنت رسول الله سيدة نساء العالمين قبر الحسنبن علي وزين العابدين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد رضي الله عنه وعنهم.

وقد خالف ابن قتيبة الدينوري هذا الاجماع فذكر أن الامام الصادق توفي سنة ست وأربعين ومائة بالمدينة(١١).

وروي عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى بينت للناس جميع ما يحتاجون اليه(١٢).

وروي عن ابنه موسى الكاظم انه قال: لما حضرت أبي الوفاة قال لي: يابني، انه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة.

وقد خلف الصادق ذرية طيبة: الامام موسى الكاظم، والسيدة عائشة المدفونة بمصر، ومنهم كذلك: محمد المامون والعباس وعبد الله وعلي واسحاق المؤتمن واسماعيل وام كلثوم وفاطمة الصغرى وفاطمة الكبرى والقاسم، ولبعض هؤلاء عقب طيب، رضي الله عنهم.

المبحث الثاني

مواقف الامام التاريخية في كتب التاريخ

كانت نشاة الامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله بالمدينة مهد العلم وماوى العلماء من الصحابة والتابعين، فنشأ محبا للعلم مقبلا عليه مخلصا في طلبه، بعيدا عن الهوى متادبا باداب الاسلام.فحفظ القران الكريم في صدر حياته، ثم اتجه الى حفظ الحديث من جده وروايته، فقد تولى جده زين العابدين تربيته منذ الطفولة حتى توفي عنه وهو في الثامنة عشرة من عمره، وكما اخذ عن جده زين العابدين، اخذ ايضا عن جده لامه: القاسم بن محمد.

يقول الدكتور سامي النشار: ان الامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله قد اخذ العلم، وبخاصة الحديث، عن جده زين العابدين، وعن جده القاسم بن محمد، وكان من فقهاء المدينة السبعة، الذين حملوا الينا الفقه المدني، وقد مات القاسم بن محمد وجعفر الصادق في الثامنة والعشرين من عمره.

وبعد وفاة جده زين العابدين، استاثر الصادق بعناية ابيه دون بقية اخوته، لما يلوح عليه من مخايل النبل، وتوقد الذهن، واجتماع القوى النفسية، لذا كان يبوح له من مكنون العلم ومستودع الرسالة، ما يمنعه من بقية اخوته؛ لان العلم التام لا يحتمله كل قلب، ولا ينفتح له كل صدر، ولا تطيب له السكنى في كل منزل.

قال الشيخ المفيد: برز جعفر الصادق على جماعة اخوته بالفضل، وكان انبههم ذكرا، واعظمهم قدرا واجلهم في الخاصة والعامة، وظل الصادق ملازما لابيه الباقر الذي تولى تعليمه طيلة شبابه، حيث عاش في حياة والده اربعاً وثلاثين سنة، فقد توفي الباقر سنة ١١٤هـ[١٣]، وهو خامس الائمة وكان ناسكا عابدا،وبعدها جلس للعلم منتظما مع عمه الامام زيد بن علي، بعد ان درس الاصول، ومحص الحقائق، وبرع في علم الكلام والجدل، فناظر المخالفين والدهريين واصحاب المذاهب المخالفة للاسلام، وسار مقصدا لطلاب العلم من كل مكان.

وكان الامام جعفر الصادق صاحب علوم جمة، راسخ القدم فيها، فكان اماما عالما في العقيدة والفقه والحديث والتفسير، ومرجعا يرجع اليه الناس في الفتيا وسائر المعارف، قال الاستاذ عبد الحليم الجندي: "فاينما ذهبت في سيرة الامام فثمة وجه العلم والتعويل على

العلماء، والتمسك بالخلق العلمي واساليبه"[١٤].

وفيما يلي نسوق بعضا من كلام المؤرخين والعلماء الدال على علم الامام جعفر:يقول الجاحظ: جعفر بن محمد الذي ملا الدنيا علمه وفضله.

ويقول ابن حجر في صواعقه: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في جميع البلدان، وروى الحافظ عبد العزيز الاخضر الجنازيري، قال: سمعت جعفراً بن محمد يقول: سلوني قبل ان تفقدوني، فانه لايحدثكم احد بعدي بمثل حديثي. ويقول سعيد بن المسيب: لم يكن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولها الا علي بن ابي طالب، وهذا يدل على سعة علمه ومشاركته في سائر العلوم.

يقول الشيخ المفيد في الارشاد: نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن احد من اهل بيته ما نقل عنه، ولا لقي احد منهم من اهل الاثار ونقلة الاخبار ما لقيه من ابي عبد الله صلى الله عليه وآله فان اصحاب الحديث قد جمعوا اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الاراء والمقالات، فكانوا اربعة الاف رجل، جمع الحافظ بن عقبة في كتاب رجاله اربعة الاف رجل من الثقات الذي رووا لجعفر بن محمد فضلا عن غيرهم.

وقال المنصور الدوانقي- اشد اعداء الامام الصادق-: انج عفرا بن محمد كان ممن قال تعالى فيهم: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وكان ممن اصطفاه الله، وكان من السابقين في الخيرات، وانه ليس من اهل بيت الا وفيهم محدث، وان جعفراً بن محمد محدثنا اليوم.

هذا نزر من اقوال العلماء وائمة الامة عن مكانة الامام الصادق العلمية، وما له في نفوس اهل العلم والمعرفة من المكانة السامية، ولا غرو في ذلك، فقد قال الامام الغزالي: اذا تجرد العقل من غشاوة الوهم والخيال لا يمكن ان يغلط، بل يرى الاشياء على ماهي عليه، والامام جعفر الصادق ممن تجرد عقله من الوهم والخيال، وتفتح قلبه للعلم فكان ممن شرح الله صدره للعلم واوسع في قلبه للمعرفة وارهف من حسه للادراك، وتفتحت له مغاليق الامور حتى كانه يلقن العلم تلقينا وا يلقى به اليه الهاما.كما يقول احد الباحثين:

أولاً: ان الله تعالى انزل شريعة واحدة صالحة لكل زمان ومكان، وانه يجد للناس من

الاقضية والفتاوى بمقدار ما يجد لهم من الاحداث، وان احداث الناس لا تتناهى، ولابد من مبين للشرع الشريف في كل عصر بيانا شافيا لاحتمال وقوع الخطا فيه، والله سبحانه وتعالى ارحم بعباده من ان يتركهم هملا لا هادي يهديهم ولا مرشد يرشدهم، وان الهادي لذلك هو الامام الذي نصبه الله تعالى في كل عصر. ثانيا: انه لابد ان يكون المبين معصوما من الخطا؛ اذ لو جرى احتمال الخطا في كلامه ما استقامت هدايته ولا وضحت حجته.

يقول الشيخ ابو زهرة من غير ان يبخس حظ الامام جعفر الصادق من الاشراق الروحي والتوفيق الذي كان يصاحبه في قوله وعمله: ان علم الامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله علم كسبي فيه اشراق كالشان في كل علم العلماء الاصفياء الاتقياء الذين راضوا انفسهم رياضة روحية عالية، واي رياضة اعظم واكرم واجل من تلك الحياة التي كان يحياها الامام الصادق صلى الله عليه وآله وفي تاريخ الامام الصادق ما يؤيد ذلك صلى الله عليه وآله لقد كان اعلم الناس باختلاف الفقهاء، كما قال عنه الامام ابو حنيفة حينما ساله في اربعين مسالة، فكان يجيب بعرض الاراء، فربما وافقهم وربما خالفهم جميعا. وكان للامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله جوانب علمية متعددة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

عني الامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله في تفسير القران الكريم، فكان عالما بالقران وتفسيره وقراءته وبلاغته، فكان في تفسير بحر لا يسبر غوره، ولا ينال دركه يتتبع معاني القران العظيم، يستخرج جواهره، ويستنتج عجائبه، فقد اجتمع عند الامام جعفر الصادق من علم القران ما كان يعلمه منه اهل البيت الذين سبقوه، وما كان يعلمه عبد الله بن مسعود، وسعيد بن جبير، وعبد الله ابن عمر، وغيرهم من صحابة النبي صلى الله عليه وآله والتابعين من الذين لم يكن همهم الا كتاب الله. فهؤلاء الصحابة والتابعون، كانوا يعتمدون في تفسير القران الكريم على احاديث النبي صلى الله عليه وآله او الصحابة، وهو ما يسمى بالتفسير بالماثور، فقد ورد عن الصحابة ما اثر عنهم، مما فتح الله به على عباده المتقين، ومن هؤلاء عبد الله بن عباس صلى الله عليه وآله الذي دعا له النبي صلى الله عليه وآله قائلا: " اللهم علمه الحكمة ". وهذا يعني ان الامام الصادق صلى الله عليه وآله قد استقى تفسير القران من منابعه الاصلية، فمما لا شك فيه انه قد اخذ عن التابعين ومن اجداده الذين كان امامهم باب مدينة العلم: علي بن ابي طالب صلى الله عليه وآله وكان لهذا اثره على الامام الصادق في ادراك معاني القران العظيم، حتى بهر علماء عصره، ومن جاء بعده،

فمن نفحاته ﷺ مارواه اهل السنة والشيعة عن الامام جعفر الصادق انه قال: عجبت لمن خاف، كيف لايفزع الى قول الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، فاني سمعت الله يقول عقبها: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾، وعجبت لمن اغتم كيف لا يفزع الى قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، فاني سمعت الله سبحانه يقول عقبها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وعجبت لمن مكر به، كيف لا يفزع الى قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، فاني سمعت الله عز وجل يقول عقبها: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾.

ولم يترك الامام كتابا في التفسير، وانما روى اكثر المفسرين اقواله، في تفسيره لايات الذكر الحكيم، واكثر من نقل عنه في تفسيره، الامام ابو عبد الرحمن السلمي، يقول الدكتور الذهبي: واهم ما ينقل عنه السلمي في حقائق التفسير: جعفر الصادق... وغيره.

واورد الشيخ الطبرسي في تفسير القران للامام جعفر الصادق في سورة البقرة وحدها اكثر من عشرين رأيا.

اما علوم السنة فقد بلغ فيها الذروة، وكان ﷺ يعظم حديث رسول الله ﷺ فلا يحدث الا وهو على طهارة، واجمل زينة، وقد اشترط الصدق لطلاب الحديث، فقد جاء عن عمر بن ابي المقدام وهو احد الثقات من مشاهير رجاله، انه دخل على الامام ابي عبدالله، وهي المرة الاولى التي يقابله فيها، فبادره الامام الصادق قائلا: تعلموا الصدق قبل الحديث.

وبلغ في علم الفقه والشريعة درجة عظمى، حتى اصبح له فقه يعرف باسمه، وهو ما يسمى بالفقه الجعفري، وهذا من الجوانب العلمية التي اجمع عليها علماء الاسلام، يقول الشيخ ابو زهرة: ما اجمع علماء الاسلام على اختلاف طوائفهم في امر، كما اجمعوا على فضل الامام الصادق وعلمه، فائمة السنة الذين عاصروه تلقوا عنه، واخذ عنه مالك، واخذ عنه مالك، واخذ عنه طبقة مالك كسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وغيرهم كثير، واخذ عنه ابو حنيفة مع تقاربهما في السن، واعتبره اعلم الناس باختلاف الناس، وقد تلقى عليه رواية الحديث طائفة كبيرة من التابعين، منهم يحيى ابن سعيد الانصاري، وايوب السختياني، وابان بن تغلب وابو عمرو بن العلاء، وغيرهم من ائمة التابعين في الفقه والحديث، ذلك فوق الذين رووا عنه، من تابعي التابعين ومن جاء بعدهم من الائمة والمجتهدين.

ونستنتج من هذا ان الامام الصادق كان اشهر اعلام الفقه والتشريع الاسلامي، وقد اسس مذهبه ونشره في مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث ولد وعاش ومات فيها.

ولم يقتصر علم الصادق صلى الله عليه وآله على تفسير القران الكريم والحديث والفقه، بل كان له علوم اخرى برز فيها وبلغ درجة الذروة، وله فيها انتاج علمي، فقد كان عالما بعلم الكلام، وله مناظرات مع ارباب علم الكلام في عصره، فعلم الكلام من العلوم التي فرضتها علوم المجتمع الاسلامي في هذا العصر؛ نتيجة لاتساع رقعة الدولة الاسلامية واتصال العرب باصحاب الاديان الاخرى من عرب وعجم، وترجمة العلوم اليونانية وما فيها منن افكار، فبدات تظهر في المجتمع الاسلامي لدى اصحاب النفوس ضعيفة الايمان التناقضات والاسئلة المتعلقة بالايمان، والذات الالهية، وحرية الانسان.

كما ظهر من ينكر وجود الله عز وجل، ومن يحمل الانسان مسئولية عمله، ومن يرفع عنه كل المسئولية، بالاضافة الى ظهور شبهات الدهرية والزنادقة واصحاب الاهواء والحاقدين على دين الاسلام، فكان الامام الصادق صلى الله عليه وآله من حراس العقيدة الذين دافعوا عن الاسلام ضد خصومه واعدائه، وفند كل الشبهات التي ظهرت في عصره، وسوف يتضح هذا ان شاء الله من خلال حديثنا عن الذات والصفات، كما ناظر الامام الصادق الفرق التي ظهرت في عصره، وينسب له كتاب (الرد على القدرية)، واخر في الرد على الخوارج، وثالث في الرد على الغلاة من الروافض، ومن جوانبه العلمية التي اكد نسبتها اليه كثير من المؤرخين والباحثين علم الكيمياء.

يقول الدكتور. محمد يحيى الهاشمي: لدى مطالعتنا للتراث الضخم الذي خلفه لنا جابر بن حيان عن الكيمياء، نرى اعترافا صريحا بان المعلم لهذه الصنعة هو الامام جعفر الصادق، فقد اطلع على هذه الحقيقة كثير من المستشرقين الغربيين فاعتقدوا في ذلك مبالغة عظيمة، وفي النقد الذي وجهه اليه بعضهم بانه من المستحيل على ججعفر ان يلم هذا الالمام العظيم بالعلوم والفنون التي ذكرها جابر في المخطوطات التي وصلت الينا والتي يوجد منها عدد غزير في القاهرة، والتي لم تدرس الدراسة الكافية، فيقول روسكا في هذا الصدد: انه من المستحيل على جعفر ان يكون كيميائياً، فليس من الممكن ان يتعاطى تلك الصنعة سواء كان ذلك علميا او نظريا وهو في المدينة.

وهذه ملاحظات سطحية، فندها بعض الباحثين الذين اثبتوا بالدليل القاطع تلمذة جابر بن حيان على الامام جعفر الصادق، وانه اخذ عنه علم الكيمياء، واعتقد ان هذه هي سمة معظم المفكرين الغربيين الذي يحاولون دائما التشكيك في اصالة الفكر العربي الاسلامي، وتجريد علماء الاسلام من كل ابداع وابتكار، لا لشيء الا لاثبات ان المسلمين عاجزون عن ادراك مثل هذه العلوم.

فمن الثابت ان الامام جعفر الصادق قد اثر في تلميذه جابر بن حيان تاثيرا خلقيا بالغا، فحين املى عليه رسائله في الكيمياء علمه كيف يصنف في هذا العلم، وكيف يختار ما يتضح به المعنى، وكيف يجرب حتى لا تتارجح النتائج بين الصدق والكذب، وكيف يكون خلق الصبر والداب معاونين على الوصول الى معرفة الحقائق، ومن ثم صحت تعبيرات جابر ان تكون مثلا يحتذيه اهل اوروبا ويقلدونه.

بالاضافة الى نبوغه في علوم شتى نحتاج في عرضها الى بحث خاص، ولا عجب في ذلك، فقد اخلص الامام الصادق عليه السلام لله اخلاصا جعل الحكمة تتفجر من قلبه على لسانه، والحق يسطع في ثنايا منطقه وبرهانه.

هذه بعض الجوانب العلمية للامام جعفر الصادق عليه السلام يتضح من خلالها انه كانت له اليد الطولى في سائر العلوم والمعارف، وانه كان اول فيلسوف في الاسلام تعمق في العلوم المختلفة. وتلقى الامام جعفر الصادق تلقى الامام جعفر الصادق علومه من مصادر شتى وينابيع مختلفة يمثلها علماء اعلام وشيوخ اجلاء؛ قال الامام النووي ت ٦٧٦هـ: "روى عن ابيه والقاسم بن محمد ونافع وعطاء ومحمد بن المنكدر، وغيرهم"(١٥).

وقال ابن تيمية: " جعفر الصادق من خيار اهل العلم والدين، اخذ العلم عن جده ابي امه، وعن محمد بن المنكدر، وعطاء بن ابي رباح، وغيرهم"(١٦).

وقال الامام الذهبي: " حدث عن ابيه ابي جعفر الباقر، وعبيد الله بن ابي رافع وعروة بن الزبير، وعطاء بن رباح وروايته عنه في مسلم، وجده القاسم بن محمد ونافع العمري ومحمد بن المنكدر والزهري ومسلم بن ابي مريم وغيرهم، وليس هو بالمكثر الا عن ابيه، وكان من جملة علماء المدينة"(١٧).

الامام زين العابدين[١٨]:

هو علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي، ابو الحسين، ويقال ابو عبد الله، المدني زين العابدين، روى عن ابيه وعمه والحسن، وارسل عن جده علي بن ابي طالب،

قال ابن عيينة عن الزهري: ما رات قريش افضل من علي بن الحسين، وكان مع ابيه يوم قتل، وهو مريض فسلم، وقال ابن عيينة والزهري ايضا: ما رايتا حدا افقه منه، ولكنه كان قليل الحديث، ويروى عن ابن المسيب انه قال: ما رايتا اورع منه، وقال العجلي: مدني، تابعي، ثقة.وقال الذهبي في السير: قال الزهري: كان علي بن الحسين من افضل اهل بيته، واحسنهم طاعة، واحبهم الى مروان وعبد الملك، ومناقبه كثيرة جدا، مات- رحمه الله- سنة ثلاث وتسعين، وقيل غير ذلك.

القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق ابو محمد، ويقال ابو عبد الرحمن[١٩]:

روى عن ابيه، وعمته عائشة، وعن العبادلة، وعبد الله بن جعفر، وابي هريرة، وعبد الله بن الخباب، ورافع بن خديج، وغيرهم.

وروى عنه ابنه عبد الرحمن، والشعبي، وسالم بن عبدالله بن عمرو وهما من اقرانه، قال ابن سعد: امه ام ولد، يقال لها سودة، وكان ثقة رفيعا، عالما، فقيها، اماما ورعا، كثير الحديث.وقال ابن عيينة: حدثنا عبد الرحمن بن قاسم- وكان افضل اهل زمانه- انه سمع اباه، وكان افضل اهل زمانه.

وقال ابن وهب عن مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الامة، وكان ابن سيرين يامر من يحج ان ينظر الى هدي القاسم فيقتدي به.

قال العجلي: كان من خيار التابعين، مدني، تابعي، ثقة، رجل صالح، وقال ابن حبان في الثقات التابعين: كان من سادات التابعين من افضل اهل زمانه علما وادبا وفقها، وكان صبورا، فلما ولي عمر بن عبد العزيز قال اهل المدينة: اليوم تنطق العذراء، ارادوا القاسم.

وقال ابن حجر في التقريب: ثقة، احد الفقهاء بالمدينة، قال ايوب: ما رايتا فضل منه، من كبار الثالثة. مات سنة ست ومائة على الصحيح.محمد بن المنكدر[٢٠].

ابن عبدالله بن الهدير بن العزى بن عامر بن الحارث بن حارثة بن سعد بن تيم بن مرة

التيمي ابو عبدالله، ويقال: ابو بكر، احد الائمة الاعلام روى عن ابيه، وعمه ربيعة، وله صحبة، وابي هريرة، وعائشة، وابي ايوب، وربيعة بن عباد، وابي قتادة، وغيرهم. روى عنه ابناه يوسف والمنكدر، وابن اخيه ابراهيم بن ابي بكر بن المنكدر، وابن اخيه عبد الرحمن، وزيد بن سالم، وابو حازم سلمة بن دينار، وغيرهم.

قال الحميدي: ابن المنكدر حافظ. وقال ابن معين وابو حاتم: ثقة، وذكره ابن حيان في الثقات، وقال: كان من سادات اهل زمانه، وكان من سادات القراء، وقال الواقدي: كان ثقة، ورعا، عابدا، قليل الحديث، يكثر الاسناد عن جابر. وقال العجلي: مدني، تابعي، ثقة.

وقال ابن حجر في التقريب: ثقة، فاضل، من الثالثة، مات سنة ثلاثين ومائة، اوبعدها. وقال الذهبي في السير: امام حافظ، قدوة، شيخ الاسلام.وكذلك من شيوخه محمد بن علي بن الحسين[٢١].ابن علي بن ابي طالب الهاشمي ابو جعفر، امه بنت الحسن بن علي بن ابي طالب، روى عن ابيه، وجده الحسن، وجده الحسين، وجد ابيه علي بن ابي طالب، وروى عنه ابنه جعفر، واسحاق السبيعي، والاعرج، والزهري، وعمرو بن دينار، والاوزاعي، وابن جريج وغيرهم. ومن تلاميذ الامام جعفر الصادق - عليه السلام -:

عرف المنزلة العلمية الممتازة للامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله اناس كثيرون، فاعجبوا به واقبلوا عليه ينهلون من فيض علمه ومعينن معرفته، ولم يحظ احد من العلماء المعاصرين له باقبال التلاميذ عليه مثلما حظي الامام جعفر. قيل: كانت مدرسة الصادق بالمدينة استمرارا لمدرسة علي بن ابي طالب من قبل[٢٢].

وقد وصف " رونلدسن" مجالس الامام جعفر بقوله: من الوصف الذي نقرؤه عن اكرام جعفر الصادق ضيوفه في بستانه الجميل في المدينة، واستقباله الناس على اختلاف مذاهبهم، يظهر لنا انه كانت له مدرسة شبه سقراطية، وقد ساهم تلاميذه مساهمة عظمى في تقدم علمي الفقه والكلام وصار اثنان من تلامذته وهما ابو حنيفة ومالك فيما بعد من اصحاب المذاهب الفقهية. وقد اكثر الائمة الثقات من الاخذ عن الامام جعفر الصادق حتى بلغ عددهم اربعة الاف من الرواة، وكتب عنه اربعمائة كاتب، كلهم يقول: قال جعفر بن محمد[٢٣]، وقد اشار كل من ترجم للامام جعفر الصادق الى تلاميذه الاخذين عنه، وتفاوتوا في ذلك قلة وكثرة.

يقول رضا كحالة: وخير الدين الزركلي، والبغدادي عن الامام الصادق: اخذ عنه جماعة، منهم الامامان ابو حنيفة ومالك، ويقول النووي والسيوطي: روى عنه الثوري وابن عيينة وشعبة ويحيى القطان ومالك وابنه موسى الكاظم واخرون، وقال ابن حجر في الصواعق: روى عنه الائمة الاكابر: يحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفيانان (سفيان الثوري وسفيان بن عيينة) وابو حنيفة وشعبة وايوب السختياني.

وفي حلية الاولياء قال ابو نعيم: روى عن جعفر عدة من التابعين منهم يحيى ابن سعيد الانصاري، وايوب السختياني، وابان بن تغلب، وابو عمرو بن العلاء، ويزيد بن عبد الله بن الهاد، وحدث عنه من الائمة الاعلام، مالك بن انس وشعبة ابن الحجاج، وسفيان الثوري، وابن جريح، وعبد الله بن عمر، وروح بن القاسم، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، واسماعيل بن جعفر، وعبد الله العزيز بن المختار ووهب بن خالد، واخرون.

واخرج عنه مسلم بن الحجاج محتجا بحديثه: وقال صاحب سير اعلام النبلاء، وتاريخ الاسلام، وتهذيب الكمال في اسماء الرجال: روى عنه ابان بن تغلب واسماعيل بن جعفر وحاتم بن سماعيل وابن صالح بن حيي، والحسن بن عياش، اخو ابي بكر بن عياش، وحفص بن عياث وزهير بن محمد التميمي، وزيد بن الحسن الانماطي، وسعيد بن سفيان الاسلمي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وسليمان بن بلال، وشعبة بن الحجاج، وابو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل، ومالك بن انس، ويحيى بن سعيد الانصاري، وهو من اقرانه، ويحيى بن سعيد القطان، وابو جعفر الرازي... الى اخره، وهؤلاء وغيرهم من الائمة والاعلام تتلمذوا على الامام جعفر الصادق عليه السلام[٢٤]. ومن تتمة الحديث عن الجانب العلمي في شخصية الامام جعفر الصادق ان نشير الى ما اثر عنه من مؤلفات ومدى صحة نسبتها اليه؛ فنقول:قد اثر الامام جعفر الصادق عليه السلام اقوال كثيرة في العلوم مختلفة: في اصوال الدين والفقه واصوله والحديث والتفسير والطب والكيمياء والجدل والاحتجاج، وقد نسب البعض الى الامام جعفر الصادق مجموعة من المؤلفات، وقد تشكك بعض الباحثين في صحة نسبتها اليه؛ قال صاحب اعيان الشيعة: " انهم قد نسبوا الى الصادق كتباً لم يذكرها الثقات عنه، وانما حملت اسمه من بعده دسا عليه".وكذلك ذهب المستشرق الالماني كارل

بروكلمان الى ان مصنفات الشيعة التي روي انها دونت في عصر بني امية منحولة غير صحيحة النسبة، ومن ذلك على وجه الخصوص المصنفات التي نسبت الى الامام ابي عبدالله جعفر الصادق بن محمد الباقر.

وقال الدكتور النشار: " لم يترك جعفر الصادق كتاباً كاملاً مدوناً ".وذكر البعض ان الانتاج العلمي للامام جعفر الصادق قد دونه عنه تلاميذه واصحابه، لا سيما وقد روي عنه انه كان يحض على تدوين العلم، فكان يقول: القلب يكل من الكتابة، وكان يملي على تلاميذه ويجيئهم بالدواة والقرطاس ويقول: " اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا"[٢٥]. ومهما يكن من امر فسوف نذكر فيما يلي ما نسب الى الامام جعفر الصادق صلى الله عليه وآله من مؤلفات ومصنفات في العلوم المختلفة، الحكم الجعفرية: حققها وقدم لها عارف تامر، وهو موجود بدار الكتب المصرية، وقال صاحب تاريخ التراث العربي: الحكم الجعفرية وهو مختصر من كتاب مجالس المؤمنين للشترني المتوفى سنة ١٠١٩هـ- ١٦١٠م، ونشره عارف تامر في بيروت سنة ١٩٦٧م، والكتاب يشتمل على ستة واربعين بابا، تحدث فيها في الاداب، والبغي، والبخل، والذل، والنسيان، والايثار، والصبر، وغيرها، وقد جمعها المفضل بن الجعفي عن ابي الخطاب. وبحر الانساب: ترجمه الى الفارسية سيد مرتضى وطبع على الحجر في طهران سنة ١٢٩٧هـ، نسبه اليه كارل بروكلمان.وحكمه القصيرة:ورد ذكرها في تحف العقول، ورسالة فيما يسال النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج، واعيان الشيعة، وكتاب الامام الصادق، وهناك كتب مروية عن الامام الصادق جمعها اصحابها مما رووه عنه، فيصح بهذا الاعتبار نسبتها اليه، لان الاملاء احد طرق التاليف. له (رسائل) مجموعة في كتاب، ورد ذكرها في كشف الظنون، يقال إن جابر بن حيان قام بجمعها. منها رسالة الصادق صلى الله عليه وآله في الغنائم ووجوب الخمس: ضمن كتاب تحف العقول، وفي رسالة فيما يسال النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج.[٢٦] وله مسند جعفر الصادق. طبع بيروت دار الفكر ١٩٥٠، يقول صاحب وفيات الأعيان عن الامام جعفر الصادق-رضي الله عنه: له- أي: الصادق- كلام في الكيمياء والزجر والفأل.ويقول السيد: محمد فريد وجدي عن الصادق: له مقالات في صناعة الكيمياء والزجر والفأل.

المبحث الثالث

مختارات تطبيقية من المواعظ والخطب المستنبطة من فكر الامام عليه السلام

كانت اخلاق الامام جعفر الصادق- عليه السلام مثلا يحتذى ونموذجا يتبعه طلاب الكمال وأصحاب الأخلاق الممتازة، وكيف لا وهو رجل اجتمعت فيه أخلاق علي وأبي بكر الصديق-رضي الله عنهما، فكان الامام جعفر ورعا تقيا زاهدا عابدا مخلصا لله قولا وعملا، لم يعبه أحد بمقالة شنعاء ولم يتهم بريبة ولا فحشاء، ولم يكن عيابا ولا سبابا ولا صخابا ولا طماعا ولا خداعا ولا نماما ولا ذماما ولا أكولا ولا عجولا ولا ملموما، ولا مكثارا ولا ثرثارا ولا مهذارا ولا طعانا ولا لعانا ولا همازا ولا لمازا ولا كنازا[٢٧]. وقد وصفه احد العلماء بأنه:من عظماء أهل البيت وسادتهم-عليهم السلام- ذو علوم جمة، وعبادة موفورة، وأوراد متواصلة، وزهادة بينة، وتلاوة كثيرة، يتتبع معاني القران العظيم ويستخرج من بحر جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليه نفسه، رؤيته تذكر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهديه يورث الجنة.نور قسماته شاهد على انه من سلالة النبيين، وطهارة افعاله تصدع بانه من ذرية الرسالة، نقل عنه الحديث واستفاد من العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم.

ولاعجب بعد ذلك أن يكون الحديث عن أخلاق الامام جعفر متشعب الأنحاء خصب الجوانب، فقد كان عابدا تقيا طاهرا ورعا.حدث عنه الامام مالك-رضي الله عنه- فقال: " كنت آتي جعفراً بن محمد وكان كثير التبسم- فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله اخضر واصفر، وقد اختلفت اليه زمانا فما كنت أراه الا على احدى ثلاث خصال: اما مصليا، واما صائما، واما يقرأ القرآن... وما رايته قط يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله الا على الطهارة، ولا يتكلم فيما لايعنيه، وكان من العباد الزهاد الذين يخشون الله، وما رأيته الا يخرج الوسادة من تحته ويضعها تحتي"[٢٨]. ولم تكن تعرض له- رضي الله عنه- أزمة ولا شدة الا فزع الى الله تعالى. حدث عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة، قدم المدينة، فقال للربيع: ابعث الى جعفر بن محمد من يأتينا به.. فتغافل عنه الربيع وتناساه، فأعاد عليه في اليوم التالي وأغلظ في القول، فأرسل اليه الربيع، فلما حضر قال له الربيع: با أبا عبد الله، اذكر الله - تعالى - فانه قد أرسل لك من لايدفع شره الا الله، واني

أتخوف عليك.فقال الامام جعفرالصادق: لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ثم ان الربيع دخل فوجد المنصور يناقشه في امر الأموال التي زعم الوشاة ان الصادق يجمعها من شيعته، وبعد انتهاء المقابلة أقبل الربيع على جعفر الصادق فقال له: يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك، وكلما حركتها سكن غضب المنصور فبأي شيء كنت تحركها؟ فقال: كنت أحركها بدعاء جدي الحسين.قلت: وماهو؟قال: كنت أقول: اللهم ياعدتي عند شدتي، وياغوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك علي فلا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمت بها علي قل بها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل بها صبري، فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني، يا ذا النعماء التي لا تحصى عددا، ويا ذا المعروف الذي لا ينقصني أبدا- أسالك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد، وبك ادرأ في نحور الأعداء والجبارين.اللم انك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدرأ في نحر عدوي وأستعيذ بك من شره، انك على كل شيء قدير.

قال الربيع: فما نزلت بي شدة ودعوت الا فرج الله عني[٢٩]. وكان رضي الله عنه لفرط اخلاصه وصدق ايمانه مستجاب الدعوة، فقد روي انه حين بلغ مصرع عمه زيد بن علي، وأن أحد الشعراء - الحكم بن عباس الكلبي - قال في صلبه:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

قال: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فسافر الحكم الى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق، فبلغ ذلك جعفراً، فخر ساجداً لله تعالى وقال: الحمد لله الذي استجاب دعاءنا.

وكان الامام جعفر رضي الله عنه كريما سخيا جوادا يفيض ببره على ذوي الحاجات والفقراء فيغمرهم بعطائه.

وكان يقول: ما توسل الى أحد بوسيلة هي أقرب الى من يد سبقت اليه مني أتبعها أختها لتحسن اصلاحها وحفظها؛ لأن منع الأواخر يقطع لسان الأوائل. وكذلك كان يعني على البخيل بخله ويأسى عليه. كما كان يأمر بعض اصحابه أن يمنع الخصومات بين الناس اذا كانت بسبب المال، وذلك باعطاء طالب المال من ماله قال أبو نعيم: ويأتي في مناقبه- أي

جعفر الصادق- أنه كان اذا صلى العشاء وذهب من الليل شطره، أخذ جرابا فيه خبز ولحم ودراهم، فحمله على عنقه، ثم يذهب به الى أهل الحاجة من أهل المدينة فيقسمه بينهم لا يعرفونه، فلما مات وقدوا ذلك عرفو، وقال أبو نعيم أيضا: كان جعفر بن محمد يعطي حتى لا يبقي لعياله شيئا. ويقول الامام جعفر الصادق - عليه السلام - لسفيان الثوري: لا يتم المعروف الا بثلاثة: بتعجيله، وتصغيره، وستره [٣٠].

وكان رضي الله عنه مثالا نادرا في الشجاعة، لا يحابي ولا يجامل في الحق ولا يداهن أصحاب الحكم وذوي السلطان، فكان الأمراء لذلك يخشونه ويخافونه. وكان يجابه أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي بالنصيحة، ومما قاله له: عليك بالحلم فانه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة، فانك ان تفعل ما تقدر عليه كنت كمن يحب أن يذكر بالصولة، واعلم أنك ان عاقبت مستحقا لم تكن غاية ما توصف به الا العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر. وقد سمع بعض الولاة ينال من علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- في خطبته، فوقف جعفر الصادق يرد عليه قائلا: " ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزانا يوم القيامة وأبينهم خسرانا؟ من باع آخرته بدنيا غيره، وهو هذا الفاسق". وان سكوته عن المطالبة بالخلافة لا ينافي شجاعته، لأن هناك فرقا بين الشجاعة والتهور. وان المطالبة بالخلافة تهور واندفاع لا تحمد عاقبته والتجربة تصدق ذلك[٣١].

ومن الصفات والأخلاق التي امتاز بها الامام جعفر -رضي الله عنه- الذكاء والفطنة ورجاحة العقل، والفقه؛ فلا عجب أن كان موضع الاجلال ومحل الاحترام من جميع من عرفه. فقد سئل أبو حنيفة: من أفقه من رأيت؟ فقال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث الي فقال: يا أبا حنيفة، ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من مسائلك الصعاب، قال: فهيأت له أربعين مسألة، ثم بعث الى أبي جعفر فأتيته بالحيرة، فدخلت عليه جعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني جعفر من الهيبة ما لم يدخلني لأبي جعفر، وقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قال: نعم، هذا أبو حنيفة: ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك، نسأل أبا عبد الله، وابتدأت أسأله، وكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، ورجال المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا،

حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة، قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس[٣٢].

وكان - رضي الله عنه- متواضعا لطلبة العلم مكرما لهم، يجالسه أصحابه الذين يقصدونه لغترفوا من علمه، فيجلس كأحدهم لا يمتاز عنهم بشيء مما يمتاز به الناس مع رفعة شأنه وعلو منزلته. قال الامام مالك بن أنس: كنت أدخل الى الصادق جعفر بن محمد، فيقدم لي مخدة، ويعرف لي قدرا ويقول: ياملك اني أحبك، فكنت أسر بذلك وأحمد الله عليه. وكان -رضي الله عنه- شديد التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله فقد روي عنه انه قال: لا تقبلوا علينا حديثاً الا ما وافق القرآن والسنة ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا وسنة نبينا. وعرف -رضي الله عنه- كذلك بالصبر عند الشدائد، فلا يجزع ولا يصيبه الهلع اذا نزلت به مصيبة مهما بلغت شدتها وقسوتها، بل كان يتحلى بالصبر ويأمر به.

وكان -رضي الله عنه- سمحا حليما، يوصي أصحابه بالسماحة والحلم؛ حيث قال: اذا بلغك عن أخيك شيء يسوؤك فلا تغتم، فانه ان كان كما يقول فيه القائل كانت عقوبة قد عجلت، وان كان على غير ما يقول كانت حسنة لم يعملها.

وروي عنه أنه أرسل غلاما له في حاجة فأبطأ فبحث عنه فوجده نائما، فجلس عند رأسه وأخذ يروح له حتى انتبه، فقال له: ما ذلك لك تنام الليل والنهار؟ لك الليل ولنا النهار.

وكان اذا بلغه ان أحدا نال منه أو أساء اليه في غيبته، قام وتهيأ للصلاة ثم صلى طويلا، ثم دعا ربه ألا يؤاخذ الجاني؛ لأن الحق حقه وقد وهبه للجاني.

وكان جعفر الصادق -رضي الله عنه- حسن السمت، جميل الهيئة، يلبس جيد الثياب، ولم يكن يحدث الا في أجمل زينة وأبهى منظر؛ وكان يقول: " اني لأكره أن يكون للرجل نعمة من الله فلا يظهرها، البس الجميل؛ فان الله جميل يحب الجمال، وليكن من الحلال ".

وقال سفيان الثوري -رضي الله عنه-: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جبة دكناء وكساء أندجاني، فجعلت أنظر اليه متعجبا، فقال لي: ياثوري: مالك تنظر الينا؟ لعلك

تعجب مما رأيت، قلت يابن رسول الله، ليس هذا من لباسك ولباس آبائك، فقال لي: ياثوري: كان ذلك زمنا مقفرا مكفهرا، وكانوا يعملون على قدر اقفاره واقتاره، وهذا زمان قد أقبل كل شيء فيه، ثم حسر عن ذيل جبته، واذا تحتها جبة صوف بيضاء تقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن، فقال لي: يا ثوري: لبسنا هذا لله، وهذا لكم، فما كان لله أخفيناه، وما كان لكم أبديناه.

وامتاز الامام جعفر الصادق- عليه السلام - بهيبة شديدة كانت تأسر نفوس المخالطين له وتأخذ بمجامع قلوبهم. جاء في سيرة آل البيت مانصه: وكان لهذه الهيبة أثرها في هداية كثير من أهل الضلال الذين يحيدون عن جادة الصواب، فكانوا حين يرونه يلتمسون الكلام فلا يجدونه- تخرسهم صولة الحق حين يطالعونها في وجه الصادق فيخرسون.

التقى الصادق بابن العوجاء في العراق، وهو داعية من دعاة الزندقة، ولكنه لم يستطع أن يتكلم أمام الصادق، فقال له: ما منعك أن تتكلم؟ فقال: اجلال لك ومهابة، ما يستطيع لساني أن ينطق بين يديك، فاني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين، فما تدخلتني هيبة قط مثلما تداخلتني من هيبتك.

انه جلال العلم، ونور المعرفة، انها قوة الحق التي يتجلى بها الله على أوليائه، فيدمغون بها الباطل فلا يقوى على الثبات امام الحق. ومع هذه الهيبة العظيمة نراه في منتهى التواضع، والتواضع هو رداء العلماء وزينة الصالحين، حتى لقد قيل: ان تمثل العلم رجلا لكان متواضعا، ومن تواضعه أنه كان يجل العلماء ويكرم مجالسهم ويهش للقائهم، وقد رأينا قول مالك عنه حين قال: كان اذا لقيته ينزع الوسادة من تحته ويجلسني عليها(٣٣).

تلك هي صفات الامام جعفر الصادق - عليه السلام -، وهذه أخلاقه الممتازة الرفيعة؛ فليس بالمستغرب بعد ذلك أن يثني عليه المعاصرون له ويمدحه المؤرخون الذي ترجموا له وعرضوا لسيرة حياته؛ قال الامام الذهبي: " مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة؛ لسؤدده وعلمه وشرفه، رضي الله عنه(٣٤). ووصفه الامام مالك بن أنس - رضي الله عنه- امام دار الهجرة قائلا: ما رأت عيني أفضل من جعفر الصادق فضلا وعلما وورعا، وكان كثير التبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وآله اخضر واصفر، ولقد اختلفت اليه زمنا فما كنت أراه الا على احدى ثلاث خصال؛ اما مصليا، واما صائما، واما يقرأ القرآن، وما رأيته

يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله الا على طهارة، لا يتكلم الا فيما يعنيه[٣٥].

وكان من العباد الزهاد الذين يخشون ربهم، وكان كثير الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد.

هذا هو وصف حال الامام جعفر الصادق - عليه السلام - كما رآها الامام مالك بن أنس، وهو كما يقول الشيخ أبو زهرة: قائل غير متحيز، فلم يعرف بموالاة الشيعة ولا بالدعاية لهم أو لأئمتهم، بل كان أقرب الى النزعة الاموية، وكان أميل الى الأمويين من غير موالاة على باطل ولا مناصرة على ظلم، فكلمته في ذلك الامام الجليل كلمة العالم، يقولها في عالم زاهد خاشع ضارع لله لايعتز بأحد سواه، فلا تحيز فيها ولا ميل، بل هو الحق الصادق الذي لا شبهة فيه، وقد كان الامام مالك من تلاميذ الامام جعفر، كما تدل العبارة، فهو يقول: اختلفت اليه زمنا، أي أنه كان يحضر مجلسه في الحديث مدة، وان لم يكن ذلك على طريق الملازمة، ولا عجب في أن يتلقى مالك عن جعفر، فقد كان معه بالمدينة وكان محدثا، وهذه شهادة التلميذ الامام لشيخه الامام.ويقول الشهرستاني: أبو عبد الله بن محمد الصادق وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات،وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثم دخل العراق وأقام بها مدة، ما تعرض للامامة قط، ولانازع أحدا في الخلافة قط، ومن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط [٣٦]. وقال ابن أبي المقدام: كنت اذا نظرت الى جعفر بن محمد علمت انه من سلالة النبيين [٣٧]. وللامام جعفر الصادق - عليه السلام - مواقف في السياسة:

اعرض الامام جعفر الصادق - عليه السلام - عن السياسة فلم يشتغل بها ولا اهتم بمؤامراتها ودسائسها، بل كان همه العلم وبغته العكوف عليه والانصراف اليه بالكلية، فقال عنه الشهرستاني في الملل والنحل: " هو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام في المدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين اليه، ثم دخل العراق مدة لم يتعرض فيها للامامة مطلقا، ولم ينازع أحدا الخلافة، ان من غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شط، ومن تعلى الى ذروة الحقيقة لم يخف من حط، ومن أنس بالله استوحش من الناس، ومن استأنس بغير الله نهبه الوسواس"[٣٨].

ورغم اعراض الامام الصادق عن السياسة الا انه لم ينج من فتنها ولا سلم من محنها، فقد تتبع الامويون ثم أبو جعفر المنصور أهل بيته بالقتل الذريع، وامتحن الرجل أشد امتحان، ولكنه صبر على كل مانزل به من محن واضطهاد وتضييق وتشريد ومهانة.

وقد شهد الامام جعفر الصادق خروج زيد بن علي على هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي، وقد حذره الامام جعفر من عاقبة خروجه ونصحه بالبقاء بالمدينة، ولكن زيدا لم يستجب لهذه النصائح فخرج الى الكوفة، وانضم اليه أربعة آلاف من الشيعة، غير أنهم خذلوه وتقاعسوا عن نصرته، فانتهت الثورة بفشلها، ومقتل زيد ابن علي رضي الله عنه.

وكان سبب ثورة الامام زيد بن علي على الحكام الامويين - ما كان يعانيه المسلمون من ظلم الأمويين، وما لحق الشيعة من بطش وقتل وارهاب وتنكيل بالصلحاء والعلماء منهم، ولهذا كانت بيعة الناس لزيد بن علي على الدعوة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسمة الفيء بين المسلمين بالسوية، ورد المظالم، كل ذلك مما جعل زيدا يخرج على الحاكمين، لينقذ هؤلاء من جور الأمويين، وحينما قتل بالمعركة ودفن، أخرج من قبره وصلب، وبعد ذلك أمر هشام بن عبد الملك بأن يحرق، فأحرق، ونسف رماده في الفرات.

هذا وقد قال الامام زيد عن نفسه وعن الامام جعفر الصادق: من أراد الجهاد فالي، ومن أراد العلم فالى ابن أخي جعفر، وقال الامام جعفر: القائم امام سيف، والقاعد امام علم.

وقد عاصر الامام جعفر الصادق سقوط دولة بني أمية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ، ومما يؤسف له أن الصادق لم يسلم من أذى أبناء عمومته العباسيين الذين نظروا اليه ملؤها الشك والريبة، فكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يشتد في مراقبته ويرصد تحركاته وتصرفاته، خشية ان يفضي اعجاب الناس به والتفافهم من حوله الى ثورة تقضي على الدولة العباسية في مهدها.

وقد استدعاه أبو جعفر المنصور الى بغداد حين بلغه أنه يجبي الزكاة من شيعته فيمد بها ابراهيم ومحمداً- المعروف بالنفس الزكية - ابني عبد الله بن الحسن في ثورتهما على الدولة العباسية، فلما حضر مجلس المنصور قال: ياجعفر بن محمد، ما هذه الاموال التي يجبيها لك المعلى بن الخنيس.

فقال أبو عبد الله الصادق: معاذ الله، انه ما كان شيء من ذلك، قال المنصور: ألا تحلف على براءتك من ذلك بالطلاق والعتاق، قال الصادق: نعم، أحلف بالله انه ما كان شيء من ذلك، أما ترضى بيمين الله الذي لا اله الا هو؟

قال أبو جعفر: لا تتفقه علي، دع عنك هذا، فاني أجمع الساعة بينك وبين الرجل الذي رفع عليك هذا حتى يواجهك، فأتاه بالرجل، فسأله بحضرة جعفر، فقال: نعم، هذا صحيح، وهذا جعفر، والذي قلت فيه كما قلت، قال الصادق: تحلف أيها الرجل أن هذا الذي رفعته صحيح.

فقال الرجل: نعم، ثم ابتدأ باليمين فقال: والله الذي لا اله الا هو الغالب الحي القيوم، قال الصادق: لا تعجل في يمينك فاني أستحلفك، قال المنصور: ما أنكرت من هذا اليمين، قال الصادق: ان الله تعالى حيي كريم، ولكن قل أيها الرجل: أبرأ الى الله من حوله وقوته وألجأ الى حولي وقوتي اني لصادق بار فيما أقول، قال المنصور: احلف بما استحلفك به أبو عبد الله، فحلف الرجل بهذا اليمين، فلم يستتم الكلام حتى خر ميتا، فاضطرب المنصور وارتعدت فرائصه، وقال للصادق: يا أبا عبد الله، سر من عندي الى حرم جدك اذا اخترت ذلك، وان اخترت المقام عندنا لم نأل في اكرامك وبرك، فو الله لا قبلت قول أحد بعدها أبدا.

ولكنه لم يشارك الامام جعفر الصادق في الحركات السياسية الشيعية الهادفة الى تحويل الخلافة الى ابناء علي بن ابي طالب، فلم يدع الى الخلافة لنفسه، وكذلك أنكر ثورة محمد النفس الزكية وأخيه ابراهيم، ومع ذلك نراه يأذن لولديه موسى وعبد الله بالوقوف الى جوار النفس الزكية في ثورته، ولما أراد النفس الزكية اعفاءهما من المشاركة في الثورة، قال لهما أبوهما جعفر الصادق: ارجعا فما كنت بالذي أبخل بنفسي وبكما عنه، وظل ابناه الى جوار النفس الزكية حتى قتل[٣٩]. وقد غضب أبو جعفر المنصور غضبا شديدا حين سمع بانضمام ابني الامام جعفر الصادق الى ثورة النفس الزكية، وزاد من غضبه أن جعفر آوى الحسن بن زيد بعد فشل الثورة كما ضم اليه يحيى بن عبدالله بعد مصرع أخويه ابراهيم ومحمد النفس الزكية[٤٠].

جاء في سيرة آل البيت عن طبيعة العلاقة بين الامام جعفر الصادق وأبي جعفر المنصور الخليفة العباسي ما نصه: كان جعفر الصادق يرثي لحال المنصور، فقد علم أنه ارتكب شططا

كبيرا في غايته، لقد نال الخلافة على أكتاف بني عمومته، وبأسياف شيعتهم وأنصارهم، فلما نال ما نال لم يأل فيهم تشريدا وتخويفا، كان الخلافة مغنم ينبغي الحرص عليه.

الا أن جعفر الصادق ما كان يهتم بقوة المنصور وشدته، زكان يرد عليه ردودا لاذعه تنبهه الى الصواب لو أراد.

كان في مجلسه يوما وقد حام الذباب حول المنصور حتى أضجره، فقال المنصور لجعفر: يا أبا عبد الله، لم خلق الله الذباب؟

فأجاب جعفر على الفور: ليذل به الجبابرة.

وكان المنصور قد أحس بجفوة الصادق له، فأراد أن يستقدمه اليه ليزيل هذه الجفوة، فكتب اليه قائلا: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟

فرد عليه الصادق قائلا: ليس لنا من اجله، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنيك، ولا نراها نقمة فنعزيك.

فكتب اليه المنصور: تصبحا لتنصحنا.

فأجابه الصادق: من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصبحك.

لقد استبان للمنصور أن الخلافة لا ترفع قدر صاحبها عند من يشغله هم الآخرة عن هم الدنيا، وعرف أن كل المزدحمين ببابه انما هم طلاب مال، ورغاب حظ ودنيا، أما الآخرة فلها أصحابها من أمثال جعفر الصادق وسفيان الثوري وأضرابهما الذين لا ينخدعون بهذا البريق الزائف الذي سرعان ما يتكشف بهرجه.

إلاّ أن المنصور لم يكن يحسن مع ذلك في ردوده على هؤلاء الذين عرف أنهم على حق، وأنهم لا يرغبون فيما بين يديه.

فإنه حين ظفر المنصور في حربه لبني الحسن بن علي أحضر جعفر بن محمد فقال له: قد رأيت اطباق أهل المدينة على حربي، وقد رأيت أن أبعث اليهم من يغور عيونهم- يطمس عيونهم ويذهب ماءها- ويحجر نخلهم- يقطع جمارها.

فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، ان سليمان أعطي فشكر، وان أيوب ابتلي فصبر، وان

يوسف قدر فغفر، فاقتد بأيهم شئت، وقد جعلك الله من نسل الذين يعفون ويصفحون. فانظر الى هذا الكلام الجميل المستخرج من معين الحكمة، المستفاد من معدن النبوة، وهو نصيحة موجهة يستل بها قائلها السخائم، ويصلح به مافسد.

ولكن المنصور رد عليه في غلظة وجفاء -فقال له: ان أحدا لا يعلمنا الحلم ولا يعرفنا العلم، وانما قد هممت، ولم ترني فعلت، وانك لتعلم أن قدرتي عليهم تمنعني من الاساءة اليهم. لشتان ما بين الرجلين.

ومع ذلك فقد حزن المنصور فيما يقول بعض الرواة على وفاة جعفر حين بلغته، وبكى عليه - [٤١].وخلاصة القول كانت مكانة الامام جعفر الصادق عند أهل السنة:كبيرة، ونظر أهل السنة الى الامام جعفر الصادق على أنه رجل صالح من أهل البيت، واعتبروه اماما عالما، ورعا تقيا فقيها مفسرا محدثا، أفاض على الناس علمه. قال الاسفراييني: " ومن المتكلمين على مذهب أهل السنة الامام جعفر الصادق" [٤٢] وهذه الرويات تعتبر وثيقة مهمة في تحديد ملامح الشخصيات التي روت عن الامام الصادق عليه السلام.

الخاتمة والنتائج:

... يطيب لى فى النهاية المطاف إبراز بعض جوانب البحث وأرجو أن أكون قد وفقت و أسهمت إسهاما متواضعا في خدمة تراثنا الإسلامي ونستطيع نجمل أهم نتائج هذا البحث على النحو التالي:

للنبي محمد- صلى الله عليه وآله - الفضل الأكبر في نهضة البشرية - بعد عصور الظلام في القرون الوسطى - من وحل الوثنية إلى ظلال التوحيد.ولآل البيت والعلماء الكرام الفضل الأكبر في نشر قيم العدالة والمساواة والحب والإخاء في أنحاء العالم في الوقت الذي كان العالم يعاني من الظلم والاستبداد والخرافات إن تكريم الله سبحانه للإنسان نابع في الأصل من كون هذا الإنسان يحمل منهج الله في الأرض،

• المنهج يعتمد على مصدرين رئيسيين القرآن الكريم والأخر متمثل في إتباع الهدي النبوي والسنة المطهرة ومأثورات آل البيت عليهم السلام ورواياتهم ومنهم الامام الصادق وإن الله أعلى مراتب الرجال الأعلام، وزكى منهم العقول الراجحة والأحلام، ومنحهم مآثر تقصر

عن جمعها المحابر والأقلام، وأنار علومهم وأفكارهم ومعارفهم وآدابهم أضاءت بها الأمصار والأقطار، وأطلعهم على حقائق الأسرار وهداهم وهدى بهم في مشارق الأنوار.

• الامام الصادق عليه السلام رجل موسوعي بعلمه وسيرته وهو من سادات العرب في الإسلام، وعرف التاريخ الإسلامي قدره، فهو يملك عبقرية نادرة، وحُنْكة بالغة، وجرأة وشجاعة فائقة بالحق، وهذا أقل ما قلنا من كلمة الحق في مواقف الرجال، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ وتراجم العلماء تزيد في الإيمان وتثبت اليقين وترفع همة السائرين إلى الله تعالى حتى يبلغوا المراتب العلى والذروة القصوى، فكيف إن كان الرجل بلغ الذروة في شجاعة اللسان

• ان غياب العلم الشرعي وتفشي الجهل سبب عظيم لوقوع الفتن وانتشارها، فوجبت العناية بطلب العلم الشرعي من مصادره الأصلية الصحيحة.- عالمية رسالة الإسلام للناس أجمعين، كما أوضحت الدراسة أيضا أن الإسلام هو دين الله الذي فطر الناس عليه جميعًا، ومن انحرف عنه فقد حاد عن الصراط المستقيم فلا سعادة له ولا أمان إلا بالإسلام..لقد مارس الإمام عليه السلام الحل العملي، لأسباب كان من أهمها قوة الحجة، وهو صاحب المنهج الوسطي الصحيح المعتدل والإسلام يأمر بالحوار والاعتدال والوسطية ويدعوا إلى التفاهم والتعارف والتسامح والتعايش السلمي وهذا نهج آل البيت عليهم السلام ، ويحذر الإسلام أمته من الانحراف نحو التشدد في الاعتقاد أو العمل، رسم البحث في شكله الأخير التوجيه العام للنهج المعتدل المتعلقة بحماية الأسرة في ضوء التعايش والحب والمودة وزيادة الوعي وتعزيز القدرات ولكي يتمكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، من تحقيق الأهداف المتوخاة من إقرار هذه الفريضة العظيمة،

• لابد المسلم أن يتحلى بصفات وخلق آل البيت والصحابة الكرام و أن يكون متمسك بالمنهج الوسطي المعتدل ويكون رقيقا لطيفا بمن يأمره وبمن ينهاه، ولقد جعل الله تعالى من محمد - صلى الله عليه وآله - " أسوة حسنة" وقدوة عظمى للمؤمنين، يقتدي به كل إنسان يريد أن يؤدي رسالة حضارية على كوكب الأرض. قال تعالى: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ".. وهي شهادة من الله تعالى " لكريم خصاله - صلى الله عليه وآله -. لقد أوجب الله التأسي به - صلى الله عليه وآله - في كل أمور الدين ومهام الإصلاح والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث

(١) ينظر: ميزان الاعتدال، (٤٤/١).

(٢) مجدي محمد سرور و سميرة جميل مسكي، موسوعة آل البيت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١، ص٤٨٧-٤٨٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، (٢٢١/٥).

(٤) البداية النهاية، (١٠٨/٩).

(٥) ينظر: في مصادر ترجمة الامام جعفر.

(٦) البداية والنهاية، (٢٨١/٩).

(٧) تاريخ الاسلام، (١٦٣/٨).

(٨) تاريخ اليعقوبي، (١٠٣/٢) ؛ نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار، للشيخ مؤنس الشيخلي، (ص١٤٥).

(٩) ابن قتيبة، المعارف، ص١٧٥.

(١٠) ينظر: وفيات الاعيان، ج١، ص٢٧٩.

(١١) ينظر: المعارف، لابن قتيبة، ص٢١٥.

(١٢) ينظر: عبد الحليم الجندي، الامام جعفر الصادق، ص٣٤٢.

(١٣) الأعلام خير الدين الزركلي (١٤/ ١٨٨) ومرآة العصر ٢:،٦٦ ووفيات الاعيان ١: ٤٤٩، وحلية الاولياء ٣:١٧٤ والبدء والتاريخ ٥: ٧٥ وفيه: وفاته بالطائف زمن الحجاج.

(١٤) ينظر: الامام جعفر الصادق، استاذ عبد الحليم الجندي، ص٣١٤.

(١٥) الامام النووي، تهذيب الاسماء واللغات، ص١٤٨.

(١٦) منهاج السنة النبوي، (١٢٤/٢).

(١٧) سير اعلام النبلاء، (٢٥٥/٦).

(١٨) تهذيب التهذيب، (٣٠٤/٧).

(١٩) تقريب التهذيب، (١٢٠/٢).

(٢٠) خلاص تهذيب الكمال، (٤٦٠/٢-٤٦١).

(٢١) تاريخ البخاري الكبير، (١٨٣/١).

(٢٢) سيد امير علي، مختصر تاريخ الاسلام، ص٧٦.

(٢٣) عبد الحليم الجندي، الامام جعفر الصادق، ص١٦٩.

(٢٤) ابن خلكان، وفيات الاعيان، (١٠٥/١).

(٢٥) عبد الحليم الجندي، الامام جعفر الصادق، ص١٦٩.

(٢٦)الأعلام خير الدين الزركلي (٤/ ٣٢٢)

(٢٧) ينظر: بحار الانوار، المجلسي، (٢٥/٤٧).
(٢٨) ينظر: سيرة آل البيت، (٥٢/٣).
(٢٩) ينظر: سيرة آل البيت (٥٣/٣-٥٤).
(٣٠) حلية الاولياء (١٩٨/٣).
(٣١) ينظر: سيرة آل البيت (٥٥/٣-٥٦).
(٣٢) الكامل في ضعفاء الرجال (١٣٢/٢).
(٣٣) ينظر: سيرة آل البيت، (٥٨/٣-٥٩).
(٣٤) تاريخ الاسلام ووفيات الاعيان، للامام الذهبي (٩٣/١).
(٣٥) التمهيد (٦٧/٢)، شرح الزرقاني (٣٣٣/١).
(٣٦) الملل والنحل (١٦٦/١).
(٣٧) حلية الاولياء (١٩٣/٣) ؛ تهذيب الكمال (٧٨/٥) ؛ صفة الصفوة (١٦٨/٢).
(٣٨) سيرة ال البيت (٤٠/٣).
(٣٩) ينظر: مقاتل الطالبين، ابي الفرج الاصفهاني (٢٧٨/٢٧٧).
(٤٠) ينظر: مقاتل الطالبين، ابي الفرج الاصفهاني (٢٧٨/٢٧٧).
(٤١) سورة فاطر، الاية: ٣٢.
(٤٢) ينظر: التبصير في الدين للاسفراييني، ص٢٦.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به هوالقرآن الكريم.

- الأعلام - المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) - الناشر: دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م.
- الكنى والأسماء للدولابي - مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث
- كشف الغمة في معرفة الائمة - المؤلف: العلامة المحقق أبى الحسن على بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي رحمه الله المتوفى سنة ٦٩٣ هـ دار الاضواء بيروت ❖ لبنان مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- مجلة التاريخ العربي - المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية
- مجموعة الرسائل للكلبايكاني- مصدر الكتاب: موقع يعسوب

- تاريخ الطبري: تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠ هـ
- قدم له الشيخ خليل الميس ضبط وتوشيق وتخريج صدقة حميد العطار دار الفكر للطباعة
- البداية والنهاية -البداية والنهاية للامام الحافظ ابي الفداء اسماعيل بن كثيرالدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ. -حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري دار إحياء التراث العربي طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م -مصدر الكتاب: موقع يعسوب
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف: ابن عبد البر مصدر الكتاب: موقع الوراق.
- الطبقات الكبرى المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م عدد الأجزاء: ٨ مصدر الكتاب: موقع الوراق
- الإمام جعفر الصادق عليه السلام مصدر الكتاب: موقع يعسوب
- تاريخ أسماء الثقاة: أبو حفص، احمد بن أيوب البغدادي تح صبحي السامرائي،الدراسة السلفية - الكويت ط١، ١٩٨٤م.
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري، مكتبة الرشيد - الرياض، ط ١، ١٩٩٩م.
- تهذيب اللغة: أبو منصور، محمد بن احمد الأزهري، ٣٧٠هـ تعليق عمر سلامي، دار أحياء التراث العربي، بيروت.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية: أبو القاسم، عبد الرحمن بن احمد السهيلي، ت٥٨١هـ، دار أحياء التراث العربي ط١، ١٤١٢هـ.
- الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن قاسم الأنبا ري ت ٣٢٨هـ تح د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت ط١ ١٩٩٢هـ.
- وسائل الشيعة (آل البيت) ـ الجزء١٢ مصدر الكتاب: موقع يعسوب.
- الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة: المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية.